حرية
عدالة
مواطنة

# البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٥٤) ٢٠١٤/٠٨/٢٤ م | www.al-badeel.org | Issue (154) 24/08/2014

# حول ضرورة الحوار بين قوى المعارضة السورية

حسام ميرو

لا تعطي صورة المعارضة السورية الكثير من الأمل بقرب انتهاء مشكلاتها الداخلية أولاً، أو بقرب انتهاء مشكلاتها البينية ثانياً، خاصة أن جزءاً من تلك الخلافات فقدَ خصوصيته، وبات عمومياً ( في متناول الإعلام)، وهو ما زاد من قلة ثقة السوريين بمدى فعالية هذه المعارضة، أو قدرتها على إنتاج الحلول، ومع ذلك فإن سؤال ضرورة التوافق بين المعارضة على مشتركات للحل السوري يبقى مشروعاً على المستويين النظري والعملي في الوقت نفسه.

لكن، قبل الخوض في أهمية هذا الحوار، يمكن أن نطرح سؤالاً معاكساً، وهو: هل يمكن ترك الحالة السورية (من المنظور الوطني) لمسارها العفوي؟.

إن مكاشفة صريحة للذات تبدو رئيسية ومهمة في هذا السياق، إذ لا يمكن الانتقال إلى حالة حوار مع الآخر قبل أن تعري الذات ذاتها بممارسة نقدية عميقة، أي أن تقوم أطياف المعارضة بمراجعة نقدية لخطابها وسلوكها خلال الأزمة السورية، وإسقاط فكرة امتلاك الصوابية، فما حدث في سوريا أربك الجميع، فهو كما أربك النظام أربك المعارضة، ومن هنا فإن المعارضة بمختلف أطيافها مدعوة إلى مناقشة مدى هذا الارتباك، وكيف أثر على تفسير الوقائع، واتخاذ المواقف، والتي وصلت إلى حد القطيعة مع أطياف أخرى في المعارضة، بما لا يخدم عملية إيجاد مخارج للوضع الكارثي للحالة السورية.

في السياق نفسه، فإن إعادة اشتقاق العملية السياسية أولاً بدلالة الداخل هي مسألة مفتاحية في الحوار، فإذا كان الخارج الإقليمي والدولي بات عنصراً أساسياً في تشكيل خريطة التحولات السورية، إلا أن هذا الأمر نفسه يجعل المعارضة، أكثر من أي وقت مضى، مدعوة إلى إعادة الاعتبار إلى وزن المعايير السورية في مواجهة ثقل العامل الخارجي، فكلما نما العامل الخارجي ضعفت إمكانية السوريين على إيجاد الحلول، والتي ربما تقتضي مسارات متعددة، لكن لا يمكن المضي بأي مسار من مسارات الحلول قبل أيجاد عوامل مشتركة بين المعارضة، وهو ما لم يتوفر حتى الآن.

إذاً، فإن الحوار هنا ليس رياضة ذهنية مجردة، وإنما عمل في صلب السياسة، ليس فقط بمعناها العملي، وإنما بمعناها الوطني، أي الشعور بمسؤولية تاريخية، فالوطن السوري (وعلى الرغم من الالتباسات الكثيرة حول المصطلح نفسه) بات في حالة تشظٍ بين شرعيات متعددة، لكنها شرعيات منقوصة الشرعية، فما من شرعية من تلك الشرعيات قادرة على أن تكون قاطرة رئيسية لحل وطني عام، وهو ما يجعلها محدودة الفاعلية والتأثير، بل ومرتهنة إلى تحولات خارج قدرتها على التعاطي معها.

العامان الماضيان شهدا مجموعة ورشات عمل حوارية بين سوريين أقامت معظمها مؤسسات بحثية غربية، لكن تلك الحوارات بقيت خارج الاستثمار السياسي السوري، وقبل كل ذلك لم تأت ورشات الحوار تلك تحت دعوة من أطراف سورية، وكأن المعارضة السورية لا تستطيع الحوار فيما بينها إلا عبر وسطاء، وهو أمر بالغ الخطورة على مستوى الدلالة، وهو ما يعطي انطباعاً بأن المعارضة السورية لا تريد الحوار تحت أعذار مختلفة، وهو ما دفع العلاقة بين أطياف المعارضة إلى حالة من القطيعة المعلنة أو غير المعلنة.

وإذا كانت الآونة الأخيرة قد فرضت الإرهاب وخطر الإسلام الراديكالي كعنوان رئيس في المعادلات السورية والإقليمية والدولية ، فإن أهمية هذا العنوان يجب ألا تغفل أن المشكلة الرئيسية هي حالة الاستعصاء في إيجاد المخارج الوطنية للأزمة السورية، وهنا تكمن الخشية من أن يصبح الهم الرئيس هو مكافحة الإرهاب، بينما تقتضي مكافحته إيجاد حل للأزمة السورية، بما يعيد إنتاج شرعية وطنية، تبدأ بمعالجة الأزمات المختلفة التي نتجت خلال الفترة الماضية، ومنها الإرهاب.

إن الحوار بين أطياف المعارضة محفوف بالكثير من المشكلات، وقد يكون دونه عقبات كثيرة، وربما هناك أطرافاً معارضة سورية لا تجد أن الحوار يصب في مصلحتها الخاصة، لكن، ومع كل ذلك كله، يبقى الحوار مهمة راهنة، فقد أدت القطيعة بين أطياف المعارضة إلى انغلاق كل منها على ذاتها، وعزلها عن بلورة تصورات الممكن السياسي في الحالة السورية، والعمل على تحقيق هذا الممكن، بما يخفف من التدهور المستمر لسوريا نحو الفوضى، ويفتح الأبواب أمام عمل جدي معني بأزمة كل السوريين.

# لماذا يتمدد تنظيم الدولة الإسلامية؟

عصام عطا الله

تمدد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية على الأرض، وفرض سيطرته على مساحات واسعة في زمن يعد قياسياً، وبدأ بالتمدد شعبياً من خلال بناء حاضنة شعبية تعتمد على مكون واحد، كما بدأ الاعتماد على العنصر البشري المحلي بعد أن كان العنصر الأجنبي طاغياً، ونجح بذلك حتى الآن رغم توقف تمدده الجغرافي مؤقتاً نتيجة التدخل الغربي، فقد استطاع التنظيم رفد قواته بأكثر من ستة آلاف مقاتل سوري في شهر واحد، ويرجع ذلك التمدد لأمور كثيرة منها:

– الفراغ الأمني والفوضى التي يشهدها البلدان (سورية والعراق) ولاسيما إذا علمنا أن القبضة الأمنية لم يكن لها مثيلاً بالقسوة والقمع والظلم وتناسبت الفوضى طرداً مع هذا، وهذا الفراغ الأمني سمح للتنظيم بتنظيم صفوفه وحشد طاقاته والعمل بحرية.

– استثمار حالة الاحتقان الطائفي الذي أججه نظاما الأسد والمالكي اللذين استعانا بميليشيات طائفية تعمل تحت إمرة ولي الفقيه. ولا ترتبط بأي مفهوم وطني وإنساني.

– الظلم الذي تعرض له السوريون عبر عقود، وتوج ذلك الظلم خلال الثورة بقمع دموي لمجرد أن طالب الشعب بالحرية والكرامة، ودفع ذلك الظلم والقمع فئة لا بأس بها للتطرف علاجاً يواجه به هذا الظلم، وكانت هذه الفئة النواة والأرض الخصبة للتنظيم.

– كيل العالم ولا سيما الغربي لما يحدث بالمنطقة بمكاييل كثيرة، ووقوف الأنظمة العربية بين متفرجة وموافقة على هذه المكاييل، واستثمر التنظيم هذا الميزان الأعرج ليقنع الآخرين أنّ المنطق والعقل لا ينفع مع هذه الأنظمة، لأنها تعمل وفق المصالح لا المبادئ، فعلينا أن نعمل لمصالحنا ونحقق ذواتنا بغض النظر عن الوسيلة، فكل شيء مبرر.

– تبني خطاب عاطفي يستثير العواطف ويحرك الغرائز، وحشد المجتمع عقائدياً وشحنه طائفياً، وقد أسهمت ممارسات الأسد والمالكي الطائفية بوجود فئة تستمع لهذا الخطاب وتؤمن به.

– ترك القوة المعتدلة ولا سيما الإسلامية عزلاء دون أي دعم، مما سمح للقوى المتطرفة بملء الساحة والسيطرة على الميدان، ففي الصراعات تكون الكلمة للأقوى.

وعند استطلاع آراء الناس في الشارع نجدهم يطرحون هذه الأسباب وأسباباً أخرى:

أبو محمد مقاتل سابق بالجيش الحر: قاتلنا النظام بأسلحة بسيطة، ولكن أسرنا لها علينا حقاً، نحن طاقاتنا محدودة وليس لدينا دخل ثابت، وعندما يقدم التنظيم رواتب ومغريات تجد كثير من الشباب ينضمون له لقتال النظام، ولكنه يتحكم بهم بعد انضمامهم.

الشيخ م ح مسؤول شرعي في أحد الفصائل الإسلامية قال: هاجمنا القاصي والداني، وتخوف من توجهنا الديني رغم اعتدالنا وتقبلنا للآخر، فوضع العصي في العجلات، ومنع كل دعم عنا، مما دفع عدداً من عناصر الفصائل المعتدلة للانخراط بصفوف التنظيم.

**تبنى التنظيم خطاباً عاطفياً يستثير العواطف ويحرك الغرائز وحشد المجتمع عقائدياً وشحنه طائفياً**

أبو محمود عامل عادي يفسر تمدد التنظيم بربط أوضاع الشباب العاطل عن العمل في "المناطق المحررة" بالقدرات المالية للتنظيم، فقال: "التنظيم يعطي رواتب محترمة، وهذا ما دفع الشباب العاطل عن العمل كي بالانتساب للتنظيم، وبعدها التنظيم يغسل ادمغتهم ويتحولوا إلى وحوش بشرية".

م أ باحث: غياب الوعي وضحالة الخطاب الفكري سمح بسيادة خطاب التطرف الذي يرتكز على غريزة البقاء وإقصاء الآخر، ففي زمن الصراعات يغيب العقل، وتصبح القيم الإنسانية النبيلة ترفاً لا داعي له أمام غريزة البقاء والخوف، وللأسف الظروف الموضوعية وممارسات الآخر محلياً وإقليمياً ودولياً تخدم هذا الخطاب المتطرف وتساعد على تمدده.

أبو فارس: الهالة الإعلامية لدى التنظيم، ووجود مركزية في القرار بالتنظيم جعله يظهر بأنه المخلص من النظام والميلشيات الشيعية، ويحقق الأمن المفقود بوجود فصائل الجيش الحر.

أم جاسم: إن الجيش الحر يتحمل المسؤولية بخلق أرضية تستقبل أي فصيل يحقق لها الأمان ويحترم حقوق الناس، لأن عدم تنظيمه جعل الفوضى في كل مكان.

محمود طالب جامعي: إن غياب أفق الحل في سورية جعلت الناس يتعلقون بأي فصيل كي يخلصهم، وبعد أن سيطر التنظيم على مساحات واسعة في سورية كان هو القبلة لأغلب الشباب، وثورتنا صار لها أكثر من ثلاث سنوات، والأطفال الذين لم يكونوا

قادرين على حمل السلاح أصبحوا اليوم مراهقين يريدون إثبات جدارتهم ورجولتهم المبكرة فانضموا للتنظيم.

عبد الحليم: يعتبر الغرب أن الإسلام هو عدوهم الأول، لذلك من الطبيعي أن ينتسب الشباب لتنظيمات إسلامية متشددة للوقوف في وجه الغرب، وخصوصاً بعد وقوف أمريكا المتكرر مع إسرائيل ضد أبطال غزة، وضد المسلمين في كل أصقاع الأرض.

محمد طالب جامعي: إن تحقيق التنظيم للانتصارات السريعة جعلت منه محط إعجاب اليافعين خصوصاً، ولو تمعنا قليلا لماذا يحقق التنظيم الانتصارات السريعة على الثوار وهم أصحاب الأرض، لوجدنا أن أغلب عناصر الجيش الحر لا يؤمنون بقتال المسلمين، وغير مجهزين لقتال الدولة عقائدياً لأن عناصر التنظيم كثير منهم كانوا جيش حر أو جبهة نصرة تحارب معهم ضد النظام، بينما عناصر التنظيم مجهزين عقائدياً لمحاربة أي فصيل وذلك بوجود قيادة مركزية وقرار واحد، بالإضافة لعملية غسل أدمغة لعناصرهم.

نور الدين: التنظيم جذب التجار بتحقيق الأمن، وجذب الفقراء بتوزيع الزكاة، والمناطق التي يسيطر عليها أغلبية سنية مطلقة، وفي داخل كل إنسان حنين لتطبيق الإسلام، واستغل التنظيم هذه المشاعر، وعمل على جذب الناس بشعارات دينية ظاهرياً و أساسها سلطوي ونجح في ذلك لحد ما.

أبو إسلام عنصر من التنظيم: نجحنا في تحقيق هذه الانتصارات لأننا نطبق شرع الله، ولأننا نحارب طواغيت الأرض، ولدينا رجال أشداء على الكفار رحماء بينهم، وحققنا الأمن في مناطق سيطرتنا، وما تحقق من انتصارات بالفترة الأخيرة هو نتيجة زيادة المنتسبين والأسلحة التي غنمناها، والخطط العسكرية المحكمة وطالما الدولة تتقدم هذا دليل إننا على الطريق الصحيح وسنصل إلى مبتغانا أو نموت دونه، نحن الآن نكسب قلوب وتأييد المسلمين بحربنا على الكفار والمرتدين، ونُحارب الآن لأن كثير من الناس يجهلون الدين ويعتبروننا سلطة غريبة، بعد فترة سيكون لنا قابلية أكثر عندما يشعر الناس بحلاوة الإسلام وتطبيق الشرع، وبزيادة المنتسبين السوريين سيكون التنظيم ذا طابع سوري ويكون مقبولاً من أهل العناصر على الأقل وأهل مناطق حكمنا.

أبو قتادة عنصر من التنظيم: إن ما يميز التنظيم هو وضوح الهدف (إقامة شرع الله في الأرض)، وعناصر مؤمنين به، ويتدافعون لبذل الغالي والنفيس للوصول له، بالإضافة للعلاقة الودية داخل التنظيم، فعندما تدخل المعسكر أو ترابط في أي تجمع، ليس هناك فرق بين أمير وعنصر، فربما الأمير يعمل الشاي للإخوة والمزاح بين الجميع دون تفرقة، هذه عوامل جذب للعناصر الجدد، وعناصر الفصائل الأخرى التي يوجد تمييز بين عناصر الفصيل والقادة.

لا شك أن التنظيم تمدد عمودياً وأفقياً وتحقق له ذلك باستثمار طاقاته واستغلال حاجيات الناس وتطلعاتهم، التنظيم غير بعض المفاهيم الدينية للوصول لسلطة مطلقة، فمن يدخل التنظيم لا يتركه بسهولة، وعدد المنتسبين يزداد وبكل منطقة يسيطر عليها يجد منسبين جدد يؤمنون به لتحقيق أهدافهم سواء محاربة النظام أو تطبيق الشرع، أو ردة فعل للفصائل التي كانت تسيطر.

إن حالة التهميش التي عانتها سوريا على مدار عقود

الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام

## الهالة الإعلامية لدى التنظيم ووجود مركزية في القرار جعلاه يظهر بأنه المخلص من النظام

خلقت تفاوتاً بين شرائح المجتمع، ويمكن القول إن الحاضنة الريفية واضحة في التنظيم، حيث ينتمي معظم عناصر التنظيم إلى أصول ريفية، أو إلى مدن بقيت بعيدة عن التنمية بمعناها الاقتصادي والعلمي والثقافي، وعندما راحت الانتفاضة السورية تتجه نحو العسكرة كان الحاضن الاجتماعي الريفي يتحول مع تحولاتها، فكثر ممن انتموا في البدايات إلى الجيش الحر هم اليوم أعضاء في التنظيم، وذلك بحكم جملة التحولات التي فرضتها الوقائع.

ويقول أبو الهدى (من ريف إدلب)، وهو معلم سابق: لقد التحق الكثير من أبناء قريتنا بالتنظيم، ومعظمهم شباب في مقتبل العمر، وثقافة محيطهم هي ثقافة تقليدية، والكثير من الأهالي لم يمانعوا التحاق أبنائهم بالتنظيم، خاصة أنم منطق الغلبة والقوة بات سائداً، وباتت معايير الوجود اليومي والحياتي تقوم انطلاقاً من مفهوم القوة، وهو ما تمكن التنظيم من إثباته.

ويضيف أبو الهدى: أتواصل مع أبناء قريتي الموجودين في التنظيم، ويحدثونني عن إقامة شرع الله، دون أن يكون لديهم القدرة في النقاش حول ما المقصود من "شرع الله"، ويمكنني فهم هذا الأمر من الثقافة العامة التي كانت سائدة في المجتمع، وراحت تتأصل في أكثر أشكالها تبسيطاً وتعميماً للمفاهيم الدينية.

## تمدد التنظيم عمودياً وأفقياً وتحقق له ذلك باستثمار طاقاته واستغلال احتياجات الناس وتطلعاتهم

وفي السياق نفسه يؤكد المهندس عمر . س، أن أبناء المدن في التنظيم عددهم محدود، فقد تمكن التنظيم من استقطاب الشرائح الأقل وعياً في المجتمع، كما أن القابلية الدينية في المجتمع موجودة، لكنها لم تكن تنحو إلى التطرف، لكن الظروف الكارثية التي مرّت البلاد فيها خلال العامين الأخيرين دفعت العامل الديني ليأخذ بعداً متطرفاً، كما أن فرصة إثبات الذات من خلال القوة، وصورة "البطل" كان لها كبير الأثر في اندفاع الشباب نحو التنظيم، ولا شك أن ذلك كله مرتبط بالوعي العام أولاً للحاضنة الشعبية، وثانياً بالظروف العامة لسوريا.

ويضيف المهندس عمر: هناك ازدياد ملحوظ في العناصر السورية داخل التنظيم، خاصة أن الكثير من الفصائل السابقة التي كانت تعاني من شح الموارد المالية تفككت، وبات المقاتلون أمام خيارات محدودة، ما اضطر الكثير منهم إلى الالتحاق بصفوف التنظيم، وقد كان لغياب المعارضة السياسية عن الحواضن الشعبية أثراً سلبياً على طبيعة الوعي بمخاطر التحول نحو التشدد، وانعكاساته السلبية على مسيرة الثورة، حيث لم يجد الشباب سنداً واعياً لهم على الأرض، يحاورهم ويستقطبهم نحوه، ما جعلهم عرضة للوعي العفوي، ولما تمليه الوقائع من تحولات على طبيعة الفرد والمجتمع.

وليس بعيداً عن السياق نفسه، قال المحامي بدر الدين: استغل التنظيم جيداً تخاذل المجتمع الدولي في حماية المدنيين، وتمكن من تمرير فكرة "مؤامرة" الغرب على الإسلام بشكل يخدم أهدافه، فإذا كان الغرب لا يريد حمايتنا ويسمح بموتنا فلا حل إلا من داخل عقيدتنا الدينية، واستعادة أمجاد الماضي، وإقامة دولة "الخلافة"، ومحاربة "المرتدين" و"الكفرة"، وبات الجيش الحر لأنه يقيم صلات مع الغرب "كافراً" ، ما يبرر محاربته تحت شعار "المرتد".

# هل من خطة لإنقاذ العراق من الكوارث؟

ماكسيملان أنجرهولزر - جيمس كيتفيلد - ترجمة وإعداد «البديل»

التفكك في العراق اليوم موجود أكثر من أي وقت مضى، وقد تمّ تمزيق النسيج الاجتماعي الضعيف في البلاد، بالإضافة إلى دور الجماعات المتطرفة في الحرب الأهلية، وفي ظل هذا كله، يسعى البيت الأبيض إلى تشكيل استجابة متماسكة، وتظهر استطلاعات الرأي أن غالبية الأمريكيين لا يوافقون على معالجة الرئيس للأزمة. و المشرعون من حزب الرئيس نفسه يدفعون نحو تغيير المسار في العراق قبل فوات الأوان.

الوضع الإعلامي الذي يواجه أوباما بشأن العراق يعيدنا إلى صيف 2006، حيث واجهت الرئيس بوش سلسلة من الأسئلة حول الإخفاق في العراق، وهو أول إخفاق أمريكي بعد حرب فيتنام، وقد استدعى ذلك تأسيس مجموعة دراسة العراق لرسم طريق جديد للتقدم في العراق، وبناء دعم الكونغرس لهذه الاستراتيجية على جانبي الممر السياسي. ونعتقد أن الخبرة والتوصيات من قبل ISG تقدم دروساً مهمة لواضعي السياسات والمشرعين للتفكير في أزمة العراق الحالية.

بالطبع، تغيرت إمكانية الولايات المتحدة في العراق. في عام 2006، كان هناك عشرات الآلاف من القوات الامريكية في العراق. بعد شن حرب الإطاحة بصدام حسين، وقد أدرك الرئيس بوش أن الولايات المتحدة سوف تكون مسؤولة عن كل المآسي التي ستكون موجودة نتيجة التفكيك العنيف للعراق.

على النقيض من ذلك، فإن حملة الرئيس أوباما لانسحاب القوات الامريكية المقاتلة من العراق، أتت لتقول بأن العراقيين هم من يجب أن يكونوا مسؤولين عن مستقبل أفضل للعراق، وليس الأمريكيين، وهو ما يوفر الكثير من الدم الأمريكي.

لكن المصالح القومية الأمريكية المتعلقة بالنفط ما زالت مهمة في الشرق الأوسط، وقد أدت سياسة أوباما إلى التشكيك بالتزام الولايات المتحدة نحو شركائها الدوليين على نطاق واسع. إن تفككاً عنيفاً في العراق على أسس طائفية يهدد مباشرة حلفاء الولايات المتحدة، مثل الأردن والسعودية وتركيا ولبنان، والولايات المتحدة أيضا لا تزال لديها اتفاقية شراكة استراتيجية مع الحكومة في بغداد.

تنظيم القاعدة في العراق، والمتطرفون أثاروا الحرب أهلية في العراق في عام 2006 ، واتخذوا منها تربة خصبة للحرب الأهلية السورية، وازدهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، واستولى على مساحات واسعة من الأراضي في كل من سوريا والعراق، وهو الآن لديه ملاذاً أكبر، وموارد أكبر، كما أن أبو بكر البغدادي لا يخفي خططه ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يجعل من الشراكة بين الولايات المتحدة والحكومة العراقية في غاية الأهمية.

حقيقة أن إدارة أوباما كانت مترددة في البداية، وقد أرسلت حوالي 1000 مستشار عسكري إلى العراق، في حين شنت غارات جوية ضد أهداف مباشرة لتنظيم "داعش" ، في شمال العراق، ويظهر أن الرئيس أوباما يدرك أن الولايات المتحدة لا تزال لديها مصالح قومية حيوية في العراق و المنطقة.

تقرير مجموعة دراسة العراق دعت الولايات المتحدة في عام 2006 لإطلاق حملة دبلوماسية إقليمية في الشرق الأوسط، والتي شملت التعامل المباشر مع إيران وسوريا، والسعي لتحقيق السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والتركيز على مشكلة البرنامج النووي الإيراني، والحد من الفجوة السنية الشيعية في المنطقة، والتي تشكل أساس الصراع في العراق وسوريا.

بما يخص العراق كان الاقتراح تغيير مهمة القوات الأمريكية في العراق من القتال المباشر إلى التدريب، ومكافحة الإرهاب. وجادل الرئيس أوباما بأنه هل من المعقول ترك القوات الأمريكية المتبقية في العراق لفعل ذلك، لكنه اضطر لسحب جميع القوات الامريكية في عام 2011، لأن رئيس الوزراء نوري المالكي رفض منحها حصانة من الملاحقة القضائية.

والآن بعد تنحي المالكي، فان الإدارة الأمريكية لديها فرصة لتصحيح هذا الخطأ في التقدير الاستراتيجي من جانب الحكومة العراقية. ولتحقيق الاستقرار في العراق والمنطقة هناك حاجة ماسة لتقديم مساعدات أميركية لتدريب وتجهيز القوات العراقية، وتمكينها من القتال، ودعم الاستخبارات، وغيرها من القطاعات المهمة في المجالين العسكري والأمني، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تظهر استراتيجية أوسع نطاقاً تقدم للشعب الأمريكي الذي أنهكته الحرب تقول إن هذه المساعدة ليست استئنافاً لحرب العراق.

مؤخراً، جادل تقرير مجموعة دراسة العراق أن الحكومة الأمريكية يجب أن يربط أي مساعدات إلى العراق في تقدم حكومة بغداد في تحقيق معالم بارزة على طريق المصالحة الوطنية، وذلك عن طريق إرسال رسالة وراء الكواليس بأن المساعدات العسكرية الأمريكية كانت تتوقف على رحيل المالكي، و يجب أن يقوم كبار المسؤولين في الإدارة الأميركية في المشاركة عن كثب في مساعدة توجيه العملية السياسية في بغداد باتجاه المصالحة التي تشد زعماء العشائر السنية مرة أخرى تحت خيمة الحكومة، وبعيداً عن تحالفهم غير الطبيعي مع المتطرفين من "داعش".

والآن، فإن السؤال هو: هل سيضع باراك أوباما توصيات مجموعة دراسة العراق في اعتباراته، وهو الذي أخذ بتلك التوصيات عندما كان في منصب سيناتور عام 2008؟

# الثـــورة و الفـــكر و داعـــــش

■ ياسر بدوي

بعد مضي أكثر من ثلاثة أعوام ونصف من عمر الثورة ، ما يزال الفكر غائب و الرؤية تائهة بين التضارب في الأفكار و الحلول بشأن سوريا ، وتبرز موضوعات ضمن متلازمات يصعب تفكيكها إلا من خلال الرؤية النهائية للحل ،وضمن الإطار الذي يجب أن توضع فيه ، والحجم الذي تستحقه ، متلازمة السلمية و العسكرة ، التطرف و الدولة الإسلامية ، الحرية و الفوضى ، المدنية و السيطرة ، إرادة الشعوب و السيطرة على الأرض ، العدالة و الانتقام ، الإقصاء و الإلغاء و المشاركة السياسية ، الديمقراطية و السيطرة ، الحرية و الحق.

تحتاج كل متلازمة من هذه المتلازمات إلى بحوث ودراسات من أجل وضع الأسس النظرية لها، والقواعد الناظمة لها، ويمكن التعبير عنها بكلمات لتكريسها في المفاهيم العامة ، وكي لا نقع في التعميم و لا نلحق الظلم بمن قام بالكتابة في هذه القضايا، ويمكن القول أنها بقيت محصورة في أطر ضيقة، ولم تستطيع التأثير في الرأي العام لتصبح تياراً واسعاً يمكن البناء عليه. وتبين النظرة العامة للحراك السياسي و الثوري و الديني مدى التقصير الكارثي التي وقعت فيه النخب السياسية و الثورية، وحجم التقصير في تشكيل فكر ثوري تستنير به القواعد الناشطة .

القراءة العامة للمشهد السوري تقول إن المعركة الفكرية الثقافية لم تخسرها الثورة ، لكن لم تربحها أمام الرأي العام المحلي و العربي و العالمي ،رغم الكم الهائل من الصور التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة ، وهذا الأمر لا يعود الى النظام فقط، وإنما تتحمل المعارضة المسؤولية الكبرى .

لعل النصر الذي حققه النظام ، وما يزال يحققه هو في مقدرته على تشويه الثورة، وحرفها عن مسارها الأساس، واستخدم جميع السبل، وسخّر كل الإمكانيات لهذا الغرض. ويبرز هنا في مسلسل التشويه الذي وضع النظام له الخطط ، الإرهاب الذي بات يختصر بكلمة «داعش» ، فمنذ اليوم الأول أفصح النظام عن مخططه في لصق تهمة الإرهاب بالثورة و الشعب. اتهم فتح الإسلام، ثم الإخوان المسلمين ، ثم وجد ضالته في جبهة النصرة وبعدها داعش، والسؤال أين كانت المعارضة من هذه المخططات وإلى أية درجة ساهمت المعارضة في تنفيذ هذا المخطط ؟.

قد تكون البرمجة أكبر من التصورات، بدليل الفيلم الذي انتجته ( vice news) والذي يظهر تماما الاختراق الواضح لجميع تابوهات الدولة الإسلامية، ودخول الكاميرا الى جميع المناطق، و لقاء أغلب الأمراء و التسهيلات السخية في التصوير و الحركة و الكرم في التصريحات الغبية ؟ لتصدير صورة معينة تشوه الفكر والدين للرأي العام الغربي، تتمحور حول مقولات التكفير و القتل و القوة الواهمة.

إن المعارضة لم تمتلك تصوراً فكرياً في خضم حالة المواجهات المتعددة، وأقصد هنا من ادعوا تمثيل الشعب، و حصلوا على الدعم المالي و السياسي، وتقاعست عن إيجاد هذا الفكر، و تشكيل رؤى سياسية للحل في سوريا، وآلية التغيير، و المحاولات التي ظهرت كانت مستوردة لتطبقها قسراً على الواقع السوري، من دون النظر إلى مراحل الصراع، وضرورات كل مرحلة منه، فوقعت فيما وقع غيرها ، و تركت الساحة للأفكار الطائشة التي تستغل أبشع استغلال من الخصوم .

من هنا تأتي أهمية إعادة انتاج منظومة فكرية ثقافية، خاصة أن شرائح واسعة من السوريين انساقت وراء أحلام وأوهام عابرة ، ما أدى إلى جملة من التشوهات والانحرافات، وكل هذا أسهم في تغييب الهدف الأساس و الفكرة الأساس .

وفي هذا السياق تحضرني جملة من الأفكار و المفاهيم التي روجها النظام و نأت المعارضة بنفسها عن مواجهتها ، ثم راحت ترددها، مثل الإرهاب في سوريا ، والقوة هي التي تحسم الصراع، والمؤامرة ، ونسيت أو تناست الهدف الأساس الذي خرج لأجله الشعب، وهو استعادة الشرعية المغتصبة التي يعطيها الشعب لممثليه بحرية و إرادة ، دون تدخلات وخوف من أجهزة المخابرات أو شراء الذمم و المقايضات البالية باسم التوافق.

إن الشرعية التي اغتصبها النظام وقعت بأيدٍ جديدة مُغتصِبة ، مهما كانت التسمية، فكل مجموعة تدعي تمثيل الشعب السوري، و تنطق باسمه، و تتلاعب بحقوقه التي تبدأ من الحقوق الفردية وصولاً إلى الحقوق السياسية و المدنية.

الجانب الآخر الذي يحضر، وما يزال الأصلح في حل سياسي، هو التفكير حول بيان جنيف واحد، والعشوائية التي حكمت سلوك المعارضة في قبول أو رفض حضور مؤتمر جنيف 2 . هذه المحطة التي افترضت سلوكا سياسيا بمستوى المرحلة كان هزيلاً ، احتكم إلى صراعات لا تخدم الأهداف الرئيسية من المفاوضات، فقد كان وراء قرار الذهاب من عدمه تابعاً في جزء كبير منه إلى العلاقة مع الجهات الإقليمية، وحساباتها، واعتقد الذين حضروا أنهم حققوا انتصاراً بتعريتهم للنظام ، في حين ظهروا أمام الرأي العام أنهم أحجار شطرنج مجردة ، ويمكن القول إن غياب الثقافة السياسية وسيطرة أنماط سلوك لا تنبع من الهدف الأساس كان وراء أداء المعارضة في جنيف 2. .

المتلازمات كبيرة، و لا يمكن أن تتوافق إلا بثورة فكرية تعطي الصراعات أبعادها السياسية و ترتقي لمستوى الهول الذي وقع فيه الشعب السوري ، و بداية لا بد من تعريف الثورة و أهدافها و طرق تحقيق الأهداف، و ثانيا في الثقافة السياسية التي تقول أن المشاكل تكبر و تتعاظم و تحتاج لحلول و الحلول تأتي من المعرفة بالواقع و امكانية التلاقي ، و هذه المهمة نأت بنفسها عنها المعارضة الحالمة و المزهوة بالتسميات و لعبة الكراسي الوهمية ! وغاب الفكر والتوجه والممارسة السياسية التي يمكن أن تحمي الشعب من عبث العابثين، سواءً كانوا دواعش دين ، أم دواعش سياسة ، أو دواعش معارضة ، أو دواعش نظام.

# في تورية الكارثة بكارثة أكبر

فيكتوريوس بيان شمس

تعالت في الآونة الأخيرة الأصوات المنادية بضرورة حماية الطائفة الإيزيدية من هجمات "داعش" التي فعلت بهم ما فعلت، قتلاً، وتشريداً، وسبياً، وكل ما تحتاجه المأساة لتكتمل.

وفي المشهد عدة أطراف ضالعة في صياغته: نظام متهالك، عمل منذ بدء الثورة ضدّه على إظهارها وكأنّها انتقام طائفي من تفرّده، وحدود مفتوحة على غاربها، ومجتمع دولي ضالع في صناعة الإرهاب الأصولي الذي يبدو وكأنّه تجاوز بعض الحدود المرسومة له، وضحية، هي الشعب السوري الآيل للتفتّت بكل مكوناته.

للمطالبة بحماية أقلية ما، من تهديد بات يطال وجودها بشكل مباشر ضرورة، تتوازى أخلاقياً مع إغفال السياق والظروف التي استهدفت فيها هذه الأقلية. ففي حين تعاني هذه الطائفة اليوم، وربّما تعاني غيرها في وقت لاحق، تعاني أكثرية الشعب السوري بالمقابل من ذات المأساة. هذا بالضبط ما يجعل المطالبة بحماية هذه الأقلية بالتحديد، وبأي شكل كان، متغافلة عن أن استهدافها هو في سياق استهداف وحدة الشعب السوري بكل مكوناته، مطالبة لا أخلاقية، لأنّها تتعامل معهم وكأنهم فصيل بشري مميز يجب الحفاظ عليه حتى لا ينقرض، عدا عن أن في المطالبة تلميحاً، يوحي وكأن الأكثرية مسؤولة بشكل أو بآخر عن هذه المأساة، وأن عليها أن تتحمّل مسؤولياتها، وتتحرّك لحمايتهم، مع أن هذه الأكثرية تتعرّض لما يتعرّض له هؤلاء، بل أكثر، لأنّها تقاتل عدّة جهات داخلية، وإقليمية، وهجينة كـ "داعش" دفعة واحدة.

هذا المخطط المرسوم بعناية، هو ما دفع الولايات المتّحدة الأميركية للطلب من "الجيش السوري الحر" للمساعدة على ضرب هذا التنظيم، وبهذا تكون تقدّمت أولوية مكافحته على إسقاط النظام، ضمن الاستراتيجية الأميركية المعروفة بـ "مكافحة الإرهاب". ساعد على ذلك في المقابل قدرة النظام على تقديم نفسه كنظام يكافح الإرهاب. مقابل معارضة بدأت تنساق –إن لم تكن مصمّمة لهذا الغرض أصلاً– وراء المطالب الأميركية، ليخرج رئيس "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية" هادي البحرة في 2014/8/16 عبر مؤتمر صحفي، يطالب من خلاله بتسليح "الجيش السوري الحر" ليقوم بالتصدّي لخطر الإرهاب.

لا أخلاقية الطرح هذه، تنطبق على مسألة أخرى. فبعد بداية العدوان الإسرائيلي على غزة في 8/ آب/ 2014، تعالت بعض الأصوات المؤيّدة للنظام، لتدافع عن تخاذل النظام والمحور الذي ينتمي إليه في تقصيره تجاه المسألة الفلسطينية، لتتساءل باستهجان عن عدم تحرّك "الجيش السوري الحر" القريب من خطوط الهدنة لنصرة غزة. مع العلم، أنه في هذه الفترة بالضبط، كان موقع "واللا" العبري وغيره قد سرّب معلومات تفيد بأن هنالك تبادلاً للمعلومات بين الجيش "الإسرائيلي" والجيش النظامي السوري، فالأول يحدّد للثاني مواقع المقاتلين السوريين القريبين من خطوط الهدنة معه، مقابل تسريب الثاني له معلومات عن منصات الصواريخ التي تستخدمها المقاومة الفلسطينية.

وفي مشهدين آخرين يتشابهان من حيث تعاطي النظام عبر إعلامه بشكل ديماغوجي مكشوف.

عمل هذا الإعلام على وصم حراك الشعب السوري بأكمله بالعمالة للعدو، متسلّحاً بذريعة علاج بعض الحالات الإسعافية الحرجة في الأراضي المحتلّة. لم يطرح هذا الإعلام على نفسه سؤال: من الذي تسبب بجرح هؤلاء، بعد أن قصف بيوتهم، وشرّد أهاليهم؟ ولماذا؟. التغافل عن التطرّق لهكذا سؤال قد يجد أسبابه في عدم قدرة هذا الإعلام عن الإجابة عن اسئلة أخرى بعد أن مرّت معاناة السوريين في القطاع الصحي بتجربتين. في الأولى قتل الجرحى بالمستشفيات في بداية الأحداث، وفي الثانية تدمير المستشفيات في المناطق التي بدأت تخرج عن سيطرته. عدا عن أن دول الجوار كانت قد أغلقت حدودها في وجه الجرحى.

في المشهد الثاني، تستقبل تركيا المتّهمة بالتآمر على النظام الجرحى الفلسطينيين جرّاء العدوان الأخير عبر مطار "بن غوريون"، وهي نقطة استدعت استنكار واستهجان هذا المحور، الذي لم يكلّف نفسه عناء السؤال: هل كان هنالك خيار آخر؟ هل حاولوا القيام بواجباتهم حيال هؤلاء الجرحى حتى يدينوا عبورهم تحت إشراف قوات الاحتلال؟

لكأن المطلوب في المشهدين، موت الجرحى بصمت، إثباتاً لوطنيتهم، أمام من فقد شرعيته التي كان يستمدّها بالضبط من هذه القضية التي خسرها عند أول امتحان جدّي.

مع أن الخطورة في المشهدين حاضرة وبقوة، إذ تؤسّس لثقافة أخرى بعد ضرب منظومة كاملة من القيم والمفاهيم. ففي الجانب المتعلّق بالدور التركي في المنطقة، يصح القول أن هنالك طموحات قديمة متجدّدة، وجدت فرصتها في الأزمات العربية لتتمدّد، إن عبر الملف الفلسطيني، سواء من خلال محاولات كسر الحصار المتكرّرة بإرسال سفن من وقت لآخر، أو من خلال علاج الجرحى الفلسطينيين. أو حتى في كيفية التعاطي مع المسألة السورية برمّتها. هذا ما يخلق مناخاً يؤسّس لشعور جديد، قد يسمح لتركيا بالفعل في مرحلة لاحقة تحقيق أهدافها، فأن يكون (10%) من الشعب السوري قد عاشوا وتلقوا معاملة حسنة في تركيا على خلاف ما حصل لأقرانهم في البلدان العربية، ليس بالأمر السهل. وأن يعالج العدو بعض الجرحى أيضاً مسألة على درجة عالية من الخطورة، تسهل له في المدى الاستراتيجي الطويل تحقيق بعض مآربه بسهولة.

هكذا تُضرب المفاهيم التي احتاجت لعقود طويلة لتتكوّن وتترسّخ في عقول الناس، وتؤسّس لثقافة "وطنية" لا تخلو من التشوّه، استطاع النظام تغييرها بعنفه المفرط، فجعل الغالبية العظمى من الشعب السوري تحاول الحفاظ على حياتها بأي ثمن، حتى وإن كان هذا الثمن، ليس مسح هذه المنظومة القيمية فحسب، بل استبدالها بواحدة أخرى جاهزة. وهو ما يعني شيء من اثنين: إمّا أن النظام بعد غربته عن شعبه، يعي جيداً أنّه يعمل كأداة بيد قوى أخرى، يؤدّي دوراً محدّداً ومرسوماً له. أو أنّه في محاولة استمراره في السلطة، لا يعي مدى خطورة أفعاله قبل رحيله.

كادر طبي إسرائيلي يعالج جريحاً سورياً

# عباس مع استئناف المفاوضات ونتنياهو يوافق على استدعاء الاحتياط

**رويترز- وكالات:**

حث الرئيس الفلسطيني محمود عباس يوم أمس (السبت) على الإسراع باستئناف المحادثات التي تتوسط فيها مصر بين إسرائيل والفلسطينيين لإنهاء أزمة غزة في حين استمرت اعمال العنف في القطاع، بعد ان شنت إسرائيل غارات جوية، وواصل نشطاء إطلاق الصواريخ.

كما دعت مصر الفلسطينيين وإسرائيل إلى قبول وقف إطلاق النار لأجل غير مسمى في قطاع غزة واستئناف المفاوضات غير المباشرة.

وقال بيان لوزارة الخارجية المصرية إن القاهرة تدعو الأطراف المعنية لقبول "وقف لإطلاق النار غير محدد المدة واستئناف المفاوضات غير المباشرة."

وانهارت يوم الثلاثاء الماضي مفاوضات غير مباشرة بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني تتوسط فيها مصر بعد اطلاق صواريخ من غزة خلال الهدنة وردت إسرائيل بشن غارات جوية.

وقال الجيش الإسرائيلي إن مسلحين فلسطينيين أطلقوا نحو 500 صاروخ على إسرائيل منذ انهيار المحادثات، وقال مسؤولو صحة في غزة إن 65 فلسطينيا قتلوا في غارات جوية إسرائيلية منذ ذلك الوقت.

ودعا عباس الجانبين للعودة الى طاولة المفاوضات التي تهدف لإنهاء الصراع الدائر منذ ستة اسابيع، وتهيئة الظروف لوصول مساعدات إعادة البناء في غزة، حيث دُمرت آلاف المنازل. وقال عباس في مؤتمر صحفي بعد لقائه والرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إن هدفه الرئيسي هو "أن نستأنف مفاوضات التهدئة في مصر في أقرب فرصة أو وقت ممكن لنتفادى مزيداً من الإصابات.. مزيداً من التضحيات.. مزيداً من الشهداء.. مزيداً من التدمير."

ويقول مسؤولون في قطاع الصحة الفلسطيني إن 2076 شخصاً منهم كثير من المدنيين قتلوا في غزة منذ بدء الهجوم الإسرائيلي في الثامن من تموز، بهدف معلن هو وقف الهجمات الصاروخية عبر الحدود من غزة.

وأعدم نشطاء من (حماس) في غزة يوم الجمعة الماضي 18 فلسطينياً اتهموا بالتآمر مع إسرائيل. وقالت الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان وهي جماعة حقوقية فلسطينية إن هناك امرأتين من بين من أعدموا.

وأعدم نشطاء ملثمون يرتدون ملابس سوداء سبعة من المتهمين بالتخابر، والذين غطيت رؤوسهم، وكبلت أيديهم في ميدان فلسطيني أمام مسجد. جاءت عملية الإعدام هذه بعد إعدام 11 آخرين في مركز مهجور للشرطة.

تأتي الحملة الصارمة ضد الذين يشتبه في تعاونهم مع إسرائيل بعد مقتل ثلاثة من قادة الجناح العسكري لحركة (حماس) في غارة جوية إسرائيلية يوم الخميس الماضي. واعتمد هذا الهجوم على معلومات مخابرات دقيقة بشأن أماكنهم.

ووافق نتنياهو الأسبوع الماضي مبدئيا على استدعاء عشرة آلاف من جنود الاحتياط فيما يشير إلى احتمال القيام بعمل عسكري موسع في غزة.

ودمرت الغارات الإسرائيلية على غزة العديد من المناطق في القطاع الذي يقطنه 1.8 مليون فلسطيني. وتقول الأمم المتحدة إن نحو 400 ألف من سكان غزة نزحوا كما قتل أكثر من 400 طفل في أطول وأشرس أعمال عنف بين إسرائيل والفلسطينيين منذ الانتفاضة الفلسطينية الثانية قبل عقد من الزمان.

من جهة أخرى، قال قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) يوم السبت إنهم وافقوا على انضمام الفلسطينيين إلى المحكمة الجنائية الدولية في خطوة يمكن أن تفتح الباب للتحقيق مع كل من إسرائيل والحركة بشأن جرائم حرب خلال القتال في قطاع غزة.

وقال موسى أبو مرزوق أحد قادة حماس وهو مقيم في القاهرة إنه وقع وثيقة يقول الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن من الضروري أن تقرها جميع الفصائل الفلسطينية قبل أن يسعى للانضمام إلى المعاهدة المنشئة للمحكمة الجنائية الدولية.

وأضاف "وقعت حركة حماس على الورقة التي اشترط الرئيس أبو مازن موافقة الفصائل عليها قبل ذهابه للتوقيع على ميثاق روما الممهد لعضوية فلسطين في محكمة الجنايات الدولية."

وإذا وقع الفلسطينيون على المعاهدة المنشئة للمحكمة الجنائية الدولية، والتي تعرف بميثاق روما، فسيكون للمحكمة الولاية القضائية على الجرائم التي ترتكب في الأراضي الفلسطينية.

ويمكن بذلك فتح تحقيق في الأحداث حتى منتصف عام 2002 عندما بدأت المحكمة عملها المتمثل في محاكمة الأفراد سواء عن جرائم الحرب أو جرائم ضد الإنسانية أو جرائم الإبادة الجماعية.

وفي مؤتمر صحفي عقد في القاهرة يوم السبت قال عباس إنه طلب من جميع الفصائل الفلسطينية إقرار مسعى الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية.

وأضاف "نحن طالبنا إخواننا في التنظيمات الفلسطينية أن يكونوا على علم بذلك، بل الموافقة على ذلك أيضا لأن لهذا الانضمام نتائج وعلينا ان نتحملها جميعا."

ولم تعلق إسرائيل على الفور، وهي بدورها ليست عضواً في المحكمة الجنائية الدولية. وتقول إسرائيل إن حماس ارتكبت جرائم حرب عندما أطلقت آلاف الصواريخ عشوائياً على المدن والبلدات الإسرائيلية، كما انها أطلقتها من مناطق مزدحمة بالسكان في قطاع غزة.

وتدافع كل من إسرائيل وحماس عن عملياتهما العسكرية بالقول إنها تتسق والقانون الدولي.

وفي اجتماع مع المدعين في المحكمة الجنائية الدولية هذا الشهر للمطالبة بإجراء تحقيق قال وزير الخارجية الفلسطيني رياض المالكي إن هناك دليلا واضحا على جرائم حرب ارتكبتها إسرائيل خلال هجومها في غزة الذي بدأ في الثامن من يوليو/تموز الماضي.

ولان إسرائيل والجانب الفلسطيني من غير الأعضاء في المحكمة الجنائية الدولية فإن خضوع ما يجري في غزة لولاية المحكمة يلزم له صدور قرار من مجلس الأمن الدولي، وهو إجراء يستبعد حدوثه لأن الولايات المتحدة أكبر حليف لإسرائيل يرجح أن تستخدم حق النقض (الفيتو) لإحباط الموافقة على مشروع قرار.

# نحو عروبة معاصرة

■ د. عبد الله تركماني (*)

(جمال عبد الناصر وتشي جيفارا)

مازال العرب ينتقلون من إخفاق إلى إخفاق، إذ نعيش اللحظة التي تلتقي فيها النهاية مع البداية، والتي تمتد جذورها في عمق التاريخ الحديث، تاريخ الأزمة الواقعية التي تعيشها المدنية العربية ذاتها، بما هو تاريخ استبعاد العرب من ساحة المبادرة والفعل والمشاركة العالمية.

لقد بات علينا، خاصة بعد تعثر ربيع الثورات العربية، وبعد تصاعد أعمال التطرف والعنف والإرهاب، أن نعترف بنهاية موجة من موجات العروبة، ونبني عروبة جديدة تقوم على حقائق سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية بعيدة عن المزايدات. ذلك لأنّ التغيّرات العالمية والإقليمية، بما فيها العمليات الإرهابية التي تشهدها العديد من الأقطار العربية، تتطلب قدراً كبيراً من العمق في المراجعة ونقد الذات، وإعادة الصياغة الفكرية والسياسية للقضايا العربية، التي تمثل مسائل جوهرية عديدة تتداخل فيها مهمات التحديث الفكري والسياسي مع مهمات النهوض الاقتصادي والاجتماعي.

وفي الواقع، يصعب على المرء أن يحدد مفهوماً معاصراً للعروبة بدقة، ولكن يمكنه أن يحدد الشروط التي يجب توافرها من أجل التعاطي المجدي مع معطيات الحاضر، بما يمهد لتجديد العروبة. ولكن – قبل ذلك – علينا أن نواجه سؤالاً رئيسياً: هل نريد أن نعيش في هذا العصر، أم نبقى سادرين في عصور سابقة ؟

إنّ العروبة هي عودة إلى الوعي بالذات، إنها الدعوة لا السلطة، إنها الهوية لا الحاكم. فقد أساء إلى العروبة بعض دعاتها، وألحقت بها الأذى حكومات حملت شعاراتها، لكنّ الفكرة هي الحقيقة الوحيدة الباقية، هي قاعدة التلاقي، وإنكارها نقطة الافتراق بين شعوبنا. إنها رابطة تاريخية تضم وتجمع المجموعة السكانية القاطنة في هذه البقعة من العالم، اعتماداً على اللغة والتاريخ والخصائص النفسية والمصالح المشتركة، وهي حركة تحرر وطني وتغيير حضاري، تهدف إلى توحيد الشعوب والطاقات، وإلى تحرير الأرض والإنسان، وإلى بناء صيغة جديدة لعلاقات داخلية وخارجية تعتمد الحرية والمساواة والعدل، وتساهم في إقامة عالم أفضل.

وفي الواقع، لا يمكن التحدث عن مفهوم معاصر للعروبة إلا إذا اشترط عليه أن يشهد تحولاً كيفياً يمتلك من خلاله بعض السمات، ويحيط نفسه بمجموعة قرائن تجعل العروبة مقبولة من جماهير العرب ونخبها، بما عليها أن تشكل في طياتها من مخزون يحوي قدراً من التحرر والديمقراطية والتنوع. فبين عروبة الخمسينيات من القرن العشرين وعروبة اليوم ستة عقود استُهلكت خلالها القيم الشمولية، وبرزت فيه الديمقراطية مفهوماً يستعاض به عن العصبوية الموحِّدة والمكوِّنة للدول والمجتمعات، وأظهرت التعددية قدرتها على أن تكون فعل انسجام ودافعاً محركاً للوحدة الوطنية في كل قطر عربي تحت رعاية دولة الحق والقانون والمؤسسات، ولم يعد الصراع مع العدو الصهيوني يشكل وحده دافعاً كافياً لإرادة التوحد، بل باتت شروط التوحد أكثر تعقيداً، خاصة بعد ما شاهدناه من تمزق بين مكونات العديد من الأقطار العربية.

فعلى العروبة اليوم أن تفعّل التثاقف الحضاري، وأن تميّز بين القيم الغربية كجزء من القيم الإنسانية العامة وبين التدخل الغربي كمشروع استعمار وسيطرة. وأن تكون مشروعاً تنموياً اقتصادياً واجتماعياً ومشروعاً علمياً تكنولوجياً، ومشروع حرية في مجالات الإعلام والثقافة والفكر، وعليها حماية واحتضان المجتمع المدني.

إنّ العروبة بحاجة إلى صياغة سياسية جديدة معاصرة وواعية لواقع العرب كما لظروف العالم والتحولات العميقة التي غيّرته وستغيّره أكثر، لكنّ الخروج من العروبة أو عليها ليس حلاً أو ضماناً للنجاة. إنّ كل دولة حاولت الخروج عليها خسرت وحدتها الداخلية، بداية، قبل أن تخسر قيمتها العربية والدولية.

لقد اختلف الزمان، والعروبة تواجه اليوم تحديات هي الأخطر منذ انطلاق دعوتها كبشارة للوعي بالذات والانطلاق على طريق بناء الغد الموعود للشعوب العربية المقهورة بالاحتلال الأجنبي والقمع الداخلي والفقر والتأخر.

إنّ مشروع النهضة العربية كان ولا يزال في حاجة إلى فكر الأنوار والحداثة، وكذلك استيعاب التحوّلات والتغيّرات التي تطرأ على الساحتين الإقليمية والدولية. مما يستوجب الاعتراف بالخصوصيات القطرية، في إطار التنوع ضمن إطار الرابطة العربية، مع إمكانية تحويل هذا التنوع إلى عنصر غنى للثوابت الضرورية لتطور الرابطة العربية.

لعلنا بذلك نفتح من جديد باب التاريخ وندق أبواب المستقبل وننهض لإطلاق خطاب عربي عصري، عناوينه في توجهاته ومضامينه وفي تجديدنا له، يحتمل دائماً التأويل والتعديل لصالح شعوبنا العربية. إنها إعادة قراءة واجبة، ليس فقط في تجديد هذا الخطاب، وإنما في تجديد العقل العربي المدعو إلى خوض مغامرة المستقبل بأدوات جديدة وأفق مفتوح وحوار دائم على المصالح والأهداف والممكن والمستحيل.

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث " – دبي